د جعلوك عبد الرزاق

كلية الآداب
والعلوم الإنسانية و العلوم الاجتماعية
– جامعة تلمسان –

المصالحة و التسلح
في الإسلام

الملخص

ليست المصالحة و المسالمة من مستحدثات هذا العصر، بل إننا لنجد هذا المفهوم في أعماق التاريخ، خصوصا في تاريخ الإسلام، دين السماح و المسامحة، و إليك ما ورد في دستور المسلمين من آيات قرءا نية بهذا الشأن.

" و يبقى الإسلام خاتم الرسالات و أكملها"

إذا كانت الأديان السماوية قد تباهت في تسامحها و دعت إلى المصالحة الإنسانية و الوئام البشري و العفو و الغفران و الدعوة إلي السلم و السلام فإن الإسلام يبقى أكمل الأديان و أكثر الشرائع التي رعت هذا الجانب الإنساني .

في كتاب الله سبحانه و تعالى وردت آيات كريمات بينت فضل التسامح و المصالحة و الغفران و السلم والإسلام بين أفراد المجتمع البشري ، لا على أساس الخضوع و التخاذل بل كان لها بعدا إنسانيا أعمق من التفكير البشري السطحي المباشر.

لقد حاولنا سرد ما أمكن حصره من تلك الآيات مبينين مقاصدها لا مدعين تفسيرها .

و قد نهجنا أسلوب أولوية ورودها في ترتيب آيات سور القرآن الكريم

قال تعالى " **و إذا قال ربك للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها و يسفك الدماء و نحن نسبح بحمدك و نقدس لك قال إني أعلم ما لا تعلمون** " (30) البقرة.

في هذه الآية الكريمة دليل واضح على أن النفس البشرية قد تخطئ و تفسد في الأرض و تسفك الدماء و الله أعلم بهذا .

و قد عصى آدم أمر الله حيث أذله الشيطان و أخرجه و زوجه مما كانا فيه فغضب الله عليه قال تعالى : " **و قلنا اهبطوا بعضكم لبعض عدو و لكم في الأرض مستقر و متاع إلى حين** " (**36**) **البقرة** .

و تبين لنا هذه الآية صفة العداوة البشرية بين البشر و الشياطين . و هي عقوبة من الله تعالى إلا أن الله تاب عليه إذ قال تعالى :

" **فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه إنه هو التواب الرحيم** " (37) **البقرة**

وجه من التسامح و العفو الالهي كما قال الله تعالى : " **و عصى آدم ربه فغوى (121) ثم اجتباه ربه فتاب عليه و هدى (122)** " **طه** . و هو وجه التسامح و المغفرة الالهية .

و إن كان هذا في عهد آدم عليه السلام فإنه كان على مدى حياة البشر و لا زال و هاكم قصة بني إسرائيل الذين كفروا بعد أن أنعم عليهم ربهم فعفا عنهم إذ قال تعالى : " **ثم عفونا عنكم من بعد ذلك لعلكم تشكرون** " (53) **البقرة** .

و قد أمرنا بالعفو و الصفح حتى عمن يريدون زعزعة ايماننا إذ قال تعالى : " **ود كثير من أهل الكتاب لو يردونكم بعد إيمانكم كفارا حسدا من عند أنفسهم من بعد ما تبين لهم الحق فاعفوا و اصفحوا حتى يأتي الله بأمره إن الله على كل شيء قدير** " (**109**) **البقرة**.

ثم أن التوبة مقبولة عند الله التواب الرحيم إذ قال تعالى : " **ألم يعلموا أن الله تعالى هو يقبل التوبة عن عباده و يأخذ الصدقات و إن الله هو التواب الرحيم** " **(104)**

التوبة كما قال تعالى " **إن الذين يكتمون ما أنزلنا من البينات و الهدى من بعد ما بيناه للناس في الكتاب أولئك يلعنهم الله و يلعنهم اللاعنون (159) إلا الذين تابوا و أصلحوا و بينوا فأولئك أتوب عليهم و أنا التواب الرحيم (160)** " البقرة .

ثم أن العفو عند المقدرة و بعد الحكم بالقصاص عن القتلى مقبولة شريطة عدم الاعتداء بعد ذلك حيث قال تعالى: " **يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم القصاص في القتلى الحر بالحر و العبد بالعبد و الأنثى بالأنثى فمن عفي له من أخيه شيء فإتباع بالمعروف و أداء إليه بإحسان ذالك تخفيف من ربكم و رحمة فمن اعتدى بعد ذلك فله عذاب أليم (178)** " البقرة

و قد حرم الله قتل النفس ظلما بغير وجهة حق قال تعالى :" **و لا تقتلوا النفس التي حرم الله الا بالحق و من قتل مظلوما فقد جعلنا لوليه سلطانا فلا يسرف في القتل إنه كان منصورا** "(33) الاسراء

و القتال و التقاتل أمر من أمور الدنيا إلا أن الله لا يحب المعتدين حيث قال تعالى : " **و قاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم و لا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين (19) البقرة**

كما أن الفتنة أشد من القتل إلا أن العفو و المغفرة ممكنة إذا تاب الإنسان و إنتهى حيث قال تعالى :" **و اقتلوهم حيث ثقفتموهم و أخرجوهم من حيث أخرجوكم و الفتنة أشد من القتل و لا تقاتلوهم عند المسجد الحرام حتى يقاتلوكم فيه فإن قاتلوكم فاقتلوهم كذلك جزاء الكافرين (191) فإن انتهوا فإن الله غفور رحيم (192)** " البقرة.

و قد شرطت الرحمة و الغفران بالتوبة و الاصلاح و عدم الرجوع الى الكفر والعصيان كما يفعل الضالون حيث قال تعالى : " **إن الذين كفروا بعد ايمانهم ثم ازدادوا كفرا لن تقبل توبتهم و أولئك هم الضالون** " (90) آل عمران .

و التوبة المقبولة لمن عملوا السوء بجهالة ثم تابوا حيث قال تعالى : " **إنما التوبة على الله الذين يعملون السوء بجهالة ثم يتوبون من قريب فأولئك يتوب الله عليهم وكان الله عليما حكيما (17) " النساء**

كما أن التوبة شرطت في عز قوة الانسان و صحته لا في ضعفه و اقتراب وقت مماته حيث قال تعالى : " **و ليست التوبة للذين يعملون السيئات حتى إذا حضر أحدهم الموت قال إني تبت الآن و لا الذين يموتون و هم كفارا أولئك اعتدنا لهم عذابا أليما (18) " النساء .**

إن الصفح و الغفران لمن ظلم نفسه و عمل سوءا ثم استغفر عن ذلك فان غفورا رحيما حيث قال تعالى : " **و من يعمل سوءا أو يظلم نفسه ثم يستغفر الله يجد الله غفورا رحيما " (110) النساء**

و قد عم الغفران و الصفح كل الحالات إلا الكفر و الشرك بالله حيث قال تعالى : " **إن الله لا يغفر أن يشرك به و يغفر ما دون ذلك لمن يشاء و من يشرك بالله فقد ضل ضلالا بعيدا (116)" النساء و قال تعالى : " و اني لغفار لمن تاب و آمن و عمل صالحا ثم اهتدى (82) " طه .**

إن المسامحة و السماح و عدم الرد على الاعتداء في ثورة غضب النفس البشرية من شريعة الدين و منذ الأزل و هاكم قصة بني آدم في ثورة نفس أحدهما عندما لم يتقبل الله قربانه و حيث تقبل من الآخر فسولت نفسه قتل أخيه و بها قال تعالى : " **لئن بسطت الي يدك لتقتلني ما أنا باسط يدي اليك لأقتلك اني أخاف الله رب العالمين (28) " المائدة**

و حلت ساعة الندم على القاتل بعد ذلك حيث لا ينفع الندم و بهذا أوصى الله بني اسرائيل و منهم من قتل النفس ظلما دون سبب قال تعالى : " **من أجل ذلك كتبنا**

على بني اسرائيل أنه من قتل نفسا بغير نفس أو فساد في الأرض فكأنما قتل الناس جميعا و من أحياها فكأنما أحيا الناس جميعا * ثم جاءتهم رسلنا بالبينات ثم أن كثيرا منهم بعد ذلك في الأرض لمسرفون (32) " المائدة

و دائما كان الصفح و الغفران للتائب مقبولا في موضع القوة قبل القبض عليه حيث قال تعالى : " الا الذين تابوا من قبل أن تقدروا عليهم فاعلموا أن الله غفور رحيم (34) " المائدة و قال تعالى : " فمن تاب من بعد ظلمه و أصلح فإن الله يتوب عليه أن الله غفور رحيم (39) " المائدة .

و قال تعالى : " و إذا جاءك الذين يؤمنون بآياتنا فقل سلام عليكم كتب ربكم على نفسه الرحمة أنه من عمل منكم سوءا بجهالة ثم تاب من بعده و أصلح فإنه غفور رحيم (54) " الأنعام

و قد أوصى الله كثيرا من تحريم قتل النفس البريئة و اتباع الفواحش الظاهرة والباطنة قال تعالى : " قل تعالوا أتل ما حرم ربكم عليكم ألا تشركوا به شيئا وبالوالدين احسانا و لا تقتلوا أولادكم من املاق نحن نرزقكم و اياهم و لا تقربوا الفواحش ما ظهر منها و ما بطن ولا تقتلوا النفس التي حرم الله إلا بالحق ذلكم وصاكم به لعلكم تعقلون (151) " الأنعام

و قد نهى الدين الاسلامي عن الفساد في الأرض و بهذا قال تعالى :

" و لا تفسدوا في الأرض بعد اصلاحها و ادعوه خوفا و طمعا إن رحمت الله قريب من المحسنين (56) " الأعراف .

و لنا من قصة يوسف و اخوته مثل في العفو و الصفح و الغفران و هذا يوسف يصفح عن اخوته الذين أساؤا له و أخطأوا معه ذلك بعد اعترافهم بذنبهم و اقرارهم بخطئهم قال تعالى : " قالوا تالله لقد آثرك الله علينا و ان كنا لخطئين (91) " يوسف

و قال تعالى :"**لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم و هو أرحم الراحمين (92) " يوسف**

و في الذين أسرفوا على أنفسهم أوصاهم ألا تقنطوا من رحمة الله و صفحه وغفرانه مهما ارتكبتم من الذنوب قال تعالى : " **قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعا إنه هو الغفور الرحيم (53) " الزمر** .

و قد اشترطت التوبة بعدم الرجوع الى السوء و الجهالة حتى يغفر الله الذنوب والا فان الله شديد العقاب قال تعالى : " **غافر الذنب و قابل التوبة شديد العقاب ذي الطول لا اله الا هو اليه المصير (3) " غافر.**

و قد دعى الاسلام الى المحبة بين الناس في المعاملة و حتى لمن بينهم عداوة عسى أن يجعل بينهم رحمة و صداقة من بعد قال تعالى : " **و لا تستوي الحسنة و لا السيئة ادفع بالتي هي أحسن فإذا الذي بينك و بينه عداوة كأنه ولي حميم (34) " فصلت** وقال تعالى : " **من عمل صالحا فلنفسه و من أساء فعليها و ما ربك بظلام للعبيد (46) " فصلت.**

إن الصراع البشري دائم ومستمر حتى بين أبناء الملة الواحدة ولا عجب بهذا فقد دعي الإسلام إلى الإصلاح بين أبناء الملة المتنازعة والدعوة إلى السلم والمصالحة وإرساء العدل والقسط قال تعالى : "**وان طائفتين من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما فان بغت إحداهما على الاخرى فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء إلى أمر الله فإن فاءت فأصلحوا بينهما بالعدل واقسطوا إن الله يحب المقسطين**". (9) **الحجرات**

وقال تعالى : " **إنما المؤمنون إخوة فأصلحوا بين أخويكم واتقوا الله لعلكم ترحمون " (10) الحجرات**

انظر الي هذه الدعوة الاخوية والسلمية في الإسلام ذلك الدين الذي بينه الله في قرآنه كما علمه وليس فوق علم الله علم وهو بكل شيء عليم .

قال تعالى : " **قل أتعلّمون الله بدينكم والله يعلم ما في السموات وما في الارض والله بكل شيء عليم** "(16)الحجرات .

انظروا ما جاء في قرآن الله وتذكروا .وقد قال تعالى : " **ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مذّكر** "(17) القمر . وكررها مرارا.

وقال تعالى : " **إنه لقرآن كريم(77) في كتاب مكنون (78) لا يمسه إلا المطهرون (79) تنزيل من رب العالمين (80) الواقعة.**

ان الله هو الذي قدر المحن والمصائب وكتبها وهي واقعة لا محاله فلا يأس الإنسان علي نفسه بمافات ولايفرح بما سوف يأتيه فهو قدر الله والله لايحب كل مختال فخور.

قال تعالى : " **ما أصاب من مصيبة في الأرض ولا في أنفسهم إلا في كتاب من قبل أن نبرأها إن ذلك على الله يسير (22) لكيلا تأسوا على مافاتكم ولا تفرحوا بما أتاكم والله لايحب كل مختال فخور (23)**" .الحديد

وليحاسب المؤمن نفسه قبل أن يحاسب ولينظر ما قدمت يداه وليتق الله إن الله خبير بما تعلمون .

قال تعالى : " **يأيها الذين آمنوا اتقوا الله ولتنظر نفس ماقدمت واتقوا الله إن الله خبير بما تعملون (18)**" الحشر.

ودائما دعوة الإسلام إلى التسامح والمحبة والغفران وعسى الله أن يقلب العداوة محبة إذ قال تعالى :" **عسى الله ان يجعل بينكم وبين الذين عاديتم منهم مودة والله قدير والله غفور رحيم (07)** "الممتحنة .

وقال تعالى : " **ما أصاب من مصيبة إلا إذن الله ومن يؤمن بالله يهد قلبه والله بكل شيء عليم (11)** " التغابن

ثم أن العداوة والبغضاء حتى بين أفراد الأسرة الواحدة ولذا حذرنا الله من هذا وأوصانا بالصفح والغفران .قال تعالى : " **ياأيها الذين آمنوا ان من أزواجكم وأولادكم عدوا لكم فاحذروهم وان تعفوا وتصفحوا وتغفروا فان الله غفور رحيم (14) " التغابن**

إن حياة البشر صراع دائم و قد يختلف المرء و زوجه و لذا أوصى الله تعالى بالاصلاح بين الزوجين حيث قال تعالى : " **و إن خفتم شقاق بينهما فابعثوا حكما من أهله و حكما من أهلها إن يردا اصلاحا يوفق الله بينهما إن الله كان عليما خبيرا (35) " النساء**

و العفو و الغفران عند المقدرة دعوة للسلم و عدم اتباع خطوات الشيطان قال تعالى:" **يا أيها الذين آمنوا ادخلوا في السلم كافة و لا تتبعوا خطوات الشيطان إنه لكم عدو مبين (208) " البقرة**

و هكذا فإن الصفح و التسامح و العفو و الغفران والسلم و المسالمة و المصالحة ليست أمور بشرية فحسب بل هي أوامر الاهية عسى أن يأخذ بها أبناء البشر و عسى أن نتبعها .و الله من وراء القصد و الله المعين